الفصل الأول

نبذة عن الخليج

obeikandl.com

obeikandl.com

يعد الخليج العربي وحدة جغرافية وثقافية متميزة تكاد تختلف في كثير من المظاهر عما يحيط بها من وحدات أخرى، ورغم أن دول الخليج العربية (*) لا تشكل وحدة سياسية واحدة إلا أن هناك الكثير مما يجمعها مع بعضها ويقرب بينها، ويجعل منها كيانا متماسكا هو أقرب إلى الوحدة السياسية الواحدة.

شيء من الجغرافيا.. والتاريخ :

إن كثيرا من الحقائق والظروف والأحوال التي يعيشها مجتمع من المجتمعات ليست وليدة الساعة أو اللحظات التي يعيشها أفراد هذا المجتمع، إن ما يعيشه المجتمع من أحوال اقتصادية، ومن ظروف اجتماعية، ومن قيم يتعامل أفراده ويسلكون على أساسها، ومن معايير يحاسبون أنفسهم في ظلالها، كل ذلك له جذور من التاريخ المرتبط بهذا المجتمع، وجذور من الجغرافيا التي ترتكز مقومات هذا المجتمع أو ذاك على حقائقها.

وبما أن الجغرافيا تسبق التاريخ، بل وتتحكم في أحداثه وتؤثر فيها، فلعلنا نتمعن سويا في شيء من جغرافية الخليج، سواء ما كان منها طبيعيا يتعلق بالموقع والتضاريس والمناخ، أو يتعلق بالسكان وأصولهم ونشاطاتهم التي يزاولونها ويتكسبون منها عيشهم، أو اقتصاديا من حيث الموارد الطبيعية التي يمتلكها الإقليم أو تحيط به، والتي استغل السكان بعضها فحولوها من «موارد طبيعية» إلى «موارد اقتصادية» يستفيدون بها ومنها وينتفعون (١).

«جغرافيا.. دول الخليج العربية هي تلك المجموعة من الدول العربية التي تطل على الخليج العربي، ذلك اللسان البحري الممتد من المحيط الهندي

(*) يقصد بها دول مجلس التعاون الخليجي.

(١) محمد عبد العليم مرسي : أثر التغيرات والعوامل الاجتماعية والاقتصادية في تحديد مكانة المعلم في دول الخليج العربية، مجلة التعاون، العدد ١١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ص ٨٦ - ٨٧.

«البحر العربي»، متوغلا في الأرض في هذا الركن الجنوبي الغربي من آسيا. وهذه الدول عبارة عن ست وحدات سياسية تتنوع وتتفاوت فيما بينها، من حيث المساحة والسكان، وهي :

الإمارات العربية المتحدة، البحرين، الكويت، المملكة العربية السعودية، سلطنة عمان، وقطر. وفي مجموعها تزيد هذه الدول، من حيث المساحة، عن مليون ميل مربع، بينما يصل عدد سكانها إلى أكثر من ثلاثة وعشرين مليون نسمة، وذلك حسب آخر الإحصاءات السكانية وأحدثها :

جدول رقم (١)

أعداد السكان في دول الخليج العربية (١)

الرقم	اسم الدولة	عدد السكان
١	الإمارات العربية المتحدة.	٢,٥٢٢,٠٠٠
٢	البحرين.	٥٥١,٠٠٠
٣	الكويت.	١,٣١٨,٠٠٠
٤	المملكة العربية السعودية.	١٦,٩٠٠,٠٠٠ (*)
٥	سلطنة عمان.	١,٥٨٧,٠٠٠
٦	قطر.	٤٨٤,٠٠٠
المجموع		٢٣,٣٦٢,٠٠٠

(١) The World Almanac C Book of Facts, 1994. Edited by Robert Famighetti, Publisher : Richard W. Eiger, New Jersey, U.S.A., 1994.

(*) تتمشى هذه الأعداد إلى حد بعيد جدًّا مع الإحصاء السكاني الذي أذاعته وسائل الإعلام في المملكة العربية السعودية خلال العام قبل الماضي (١٤١٣هـ)، والتي قالت بأنه بناء على النتائج الأولية للتعداد العام للسكان وصلت أعداد السكان إلى ١٦,٩٢٩,٢٩٤ نسمة، وجاءت أعداد المواطنين ١٢,٣٠٤,٨٣٥ نسمة، بينما بلغ عدد المقيمين بالمملكة ٤,٦٢٤,٤٥٩ نسمة، وذلك كما أعلنت مصلحة الإحصاءات العامة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني بالمملكة العربية السعودية.

وبما أن الدراسات الحالية معنية بالدرجة الأولى بدول مجلس التعاون دون العراق، فإننا نستطيع أن نقول إنهم يصلون في عمومهم إلى نحو خمسة وعشرين مليونا من السكان.

وهؤلاء السكان لهم مجموعة من السمات العامة المشتركة التي تجمع بينهم، وتلك السمات التي تبرز دراسة هذه الدول الخليجية كوحدة واحدة، هذه السمات هي:

١ - أن السكان فيها جميعا، وربما مع استثناءات بسيطة جدًّا لا تكاد تذكر، يدينون بالإسلام، ويتخذونه عقيدة لهم، وشريعة يحتكمون إليها.

٢ - أنهم في مجموعهم يرجعون إلى أصول عربية، ومن ثم فالعربية - لغة القرآن الكريم - هي لغتهم المعبرة عن أفكارهم ومشاعرهم.

٣ - أن بلادهم يغلب عليها الطابع الصحراوي من حيث كونها أرضا جرداء ومناخا حارًّا جافًا، مع استثناءات قليلة قرب مياه الخليج وعند شواطئ البحر الأحمر، حيث ترتفع نسبة الرطوبة، وخصوصًا في أشهر الصيف الحارة.

٤ - هذا الطابع الصحراوي الغالب، انعكس على نشاط السكان الاقتصادي، وخصوصا في العصور التي سبقت اكتشاف البترول واستخراجه وتصديره، والاستفادة من عوائده.

٥ - بجانب الاقتصاد الصحراوي، من رعي للإبل والأغنام وبعض الماشية احترف عدد من السكان الاشتغال بالتجارة بين المراكز الحضارية الكبرى، داخل منطقة الخليج وخارجها.

٦ - سادت في الأقاليم الساحلية - أيضا قبل ظهور البترول - حرف بحرية اشتهر بها أهلها مثل: صيد السمك، واستخراج اللؤلؤ، وصناعة بناء السفن التجارية وقوارب الصيد.

٧ - ظهر النفط فيها جميعا في أوقات متقاربة، فأدى ذلك إلى تغيرات جذرية.. اقتصادية واجتماعية.. بعيدة الأثر في حياة سكانها، وكان من نتيجتها أن انفتح العالم عليهم، يبغي بتروهم وانفتحوا هم عليه يبغون كل ما لديه من مستلزمات العصر (١).

٨ - كانت الطفرة المالية سريعة ومفاجئة، فلم تسمح لأهل المنطقة بالتطور المتأني الواعي، ووجد إنسان الخليج نفسه وجها لوجه أمام عمالقة الاستثمار في العالم، يواجههم.. وعليه أن يتعامل معهم، كما وجد نفسه أمام مستلزمات العصر والعلم، تلك المستحدثات التي دخلت عليه حياته، وأحاطت به من كل جانب، وبدأت تهز الكثير من قيمه وعاداته وتقاليده.

٩ - بسبب الوفورات المالية الضخمة، والسيولة المتاحة في أيدي أبناء الخليج، أصبح في استطاعتهم أن يستوردوا كل شيء، من أي مكان على ظهر الأرض، ومن ثم تحولوا إلى مجتمع استهلاكي ضخم، وعمرت البيوت الخليجية بكل منتجات العصر، مما يسَّر الحياة، وغيّر من طعمها السابق.

١٠ - لم يفتح أبناء الخليج أبواب مجتمعاتهم للمنتجات الأجنبية فحسب، وإنما انفتحوا هم على المجتمعات الأخرى، فكثرت أسفارهم إلى الخارج للعمل والسياحة وكذا للدراسة، مما عرض البعض لرياح التغير، بسبب احتكاكهم بثقافات تختلف عنهم جذريا وعن ثقافتهم الأصلية.

١١ - نتيجة لوفرة الأموال، وخصوصًا في أيدي الشباب، والتي جاءت لهم من أيسر الأبواب وأسهلها، تدهورت قيمة العمل والكد في سبيل الحصول على

---

(١) محمد عبد العليم مرسى: دور التعليم العالي في تنمية دول الخليج، مجلة مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد الأول، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، ص ٣١٧.

الرزق، ومن ثم هبط احترام العمل، كقيمة عليا في بناء المجتمع، وفي التدليل على قيمة الشخص العامل [1].

١٢ - وأخيرا . . وقبل أن نترك هذه السمات التي تميز أبناء الخليج لعله يكون من المناسب أن نعرض في عجالة لبعض أنواع التغيرات التي بدأت تمس حياتهم، والتي نرجو من الله أن ينتبهوا لها ولأبعادها الخطيرة، حتى لا تصبح حياتهم بحيث تكون من سماتهم التي يتصفون بها، هذه المتغيرات سنذكر مسمياتها فقط، دون الدخول في تفصيلاتها.

- الانصراف عن التعليم الفني - بصفة عامة، مما مكن للعمالة الأجنبية في المنطقة، بكل آثارها السلبية.

- الاعتماد على المربية الأجنبية في تنشئة ورعاية الأجيال الجديدة من أبناء الخليج رغم مخاطر ذلك.

- الانصراف عن الأعمال والحرف التي كان يزاولها الأجداد، وربما الآباء إلى وقت غير بعيد.

- التغير في البناء الأسري في الخليج، وانقراض الأسرة الممتدة، وظهور الأسرة النووية، بكل ما يعني ذلك من تفتت بدأت مظاهره تتضح للعيان، وخصوصًا فيما يتعلق بالترابط الذي اشتهرت به الأسر الخليجية سابقا وخصوصًا في المدن الكبرى.

- ظهرت أجيال من أبناء الخليج وهي متأثرة بنماذج خلقية وقيمية استمدت مثلها في حياتها من الفيديو والتليفزيون، ومن السفر للخارج

---

(١) محمد عبد العليم مرسى : أثر المتغيرات والعوامل الاجتماعية والاقتصادية، مرجع سابق، ص ٨٨.

- انتشرت - مع وفرة الأموال - بعض مظاهر الانحراف (مسكرات - مخدرات - جرائم) وهذه لم يكن للمنطقة بها عهد من قبل.

- أصبح الإسراف نمطاً دالاً على سلوكيات كثير من أبناء الخليج، وخصوصًا من أبناء الأجيال الجديدة التي لم يعرف أفرادها معنى التعب والكد في سبيل الحصول على لقمة العيش.

الأهمية الدينية للمنطقة :

وهذا العنصر يستحق أن يفرد له حديث خاص، بعيدا عن صفات المنطقة وسماتها؛ لأنه يتعلق بأهم عنصر في حياة سكانها، فمنذ جاء الرسول ﷺ لهداية البشر أجمعين، ومنذ بعث في مكة المكرمة، منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وأفئدة المسلمين تهفو إلى تلك البقعة التي تعد أقدس مكان في العالم، حيث أقيم فيها أول بيت لله على الأرض ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ﴾ كما أن ثاني أقدس مكان على وجه الأرض يتمثل في «المدينة المنورة» حيث هاجر إليها الرسول ﷺ، هو وصحبه الكرام، وبعد أن حوربت الدعوة الإسلامية في مكة من قبل الكفار والمشركين، وهناك أقيمت أول دولة للإسلام على وجه الأرض، ولا زال هذان المكانان المقدسان يمثلان أقدس مكانين على وجه الأرض، وتحيط بهما قلوب أكثر من مليار من المسلمين باتساع الكرة الأرضية(١).

ويربط أحد الباحثين بين الأهمية الدينية لهذين المكانين المقدسين، وبين حسابات السياسة الدولية، يقول «فاضل» : «تضم المملكة العربية السعودية في

---

(١) يمكن لمن أراد الاستزادة حول هذا الموضوع أن يراجع كتاب الباحث : قدسية الحرمين الشريفين والتضامن الإسلامي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

أراضيها الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وهما أقدس الأمكنة بالنسبة للمسلمين، لذا كان للمملكة أهمية خاصة لدى المسلمين الذين يبلغ تعدادهم الآن نحو البليون نسمة، وينتشرون في معظم أرجاء الأرض، ولا شك أن لهذه الأهمية أثراً في حسابات السياسة الدولية، إذ تبرز تلك الأهمية كأحد مميزات هذه المنطقة[1].

الأهمية الاقتصادية العالمية :

لا يستطيع أي باحث أن يكتب عن الخليج العربي - في الوقت الحاضر - دون أن يتعرض للثروة البترولية الهائلة التي يمتلكها ذلك الخليج ويرقد فوقها، وهذه الثروة إذا كانت تهم أصحابها وتعنيهم إلا أن لها أهمية عالمية خطيرة كان الجميع يتحدثون عنها باعتبارها من الأمور المنطقية، حيث إن هذه السلعة «عالمية» الصفة، ولكن «الأحاديث» عنها و«الكتابات» تأكدت على شكل واقع حي ملموس حين أقدم النظام البعثي في العراق على غزو الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م، حيث أحس الجميع أن هناك عصبًا حسَّاسًا خطيرًا قد مُسَّ، أو أن هناك سلكًا كهربائيًا ذا قوة هائلة قد جذب بعنف دون حذر !!

وفي خلال أيام قليلة تغير وضع المنطقة كلها بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ، فقد هبط فيها مئات الألوف من الجنود والضباط، من جميع أنحاء العالم تقريبا (معظمهم من الولايات المتحدة الأمريكية) ومعهم آلاف الطائرات الحربية وعشرات الآلاف من الدبابات والمدرعات وناقلات الجنود والمصفحات، بالإضافة إلى حاملات الطائرات والغواصات والمدمرات والفرقاطات التي غص بها الخليج والبحار القريبة منه والمحيطات، علاوة على حالة الاستنفار القصوى

---

(١) صدقة يحيى فاضل : الأهمية العالمية المعاصرة للخليج ودول مجلس التعاون، مجلة التعاون، الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الرياض، العدد الخامس، ١٤٠٧هـ - ١٩٩٢م، ص ٥٠.

التي عمت القواعد العسكرية المحيطة بالمنطقة من جميع الجهات.

ثم اندلعت أحدث حرب في التاريخ المعاصر، استخدمت فيها أحدث وأفتك أنواع الأسلحة التي خرجت من مصانع الغرب، والتي حصدت أرواح مئات الألوف من البشر، والتي تركت آثارا اقتصادية خلفتها وراءها للمنطقة كي تدفعها على شكل ديون وغيرها ذات أرقام فلكية لا يكاد يصدقها عقل (*)، والسبب.. في كلمة واحدة.. البترول.. وليس غيره..!!

هذا هو الخليج، في عجالة، مجرد لمحات تشير إلى بعض خصائصه، وإلى بعض ما فيه، ثم لعلنا ـ بعد ذلك ـ ننتقل إلى الثقافة في الخليج، ومنها إلى ثقافة الطفل في الخليج، ولكن وقبل ذلك، لعله يكون من المناسب أن نبحث بشيء من التفصيل في معنى ذلك المصطلح.. الثقافة.

(*) يمكن مراجعة كتب المؤلف:

أ - غزو الكويت كارثة المسلمين الجديدة، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ب - التربية وكارثة غزو الكويت، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

جـ - علماء الأمة الإسلامية يواجهون صدام حسين، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.